الفصل الثانى

الموالد

مقـــدمة :

تعـــد الموالد الى جانب الزيارة الأسبوعية أو غير الدورية أهم المناسبات التى يتجلى فيها تكريم الأولياء • وزيارة الولى والاحتفـــال بمولده هى الدليل الأكبر والشـــاهد الملموس على أن هـــذا الولى مازال يعيش فى قلوب الناس ، يكرمونه، ويدعونه فى السراء والضراء،ويلتمسون لديه عونا على حل مشكلاتهم • ولست أنوى أن أقدم فى هذه الفقـــرة دراسة مفصلة لأحـــد الموالد أو بعضها ، فذلك أمر تكفلت به دراســـات سابقة ، وهو فى نفس الوقت موضـــوع دراســـات جارية ، حصـــل بها أصحابها أو هم بسبيل الحصول على درجاتهم العلمية بمثل هذه الرسائل•

ولكننى كنت قد أشرت منذ سنوات طويلة (فى شتاء ١٩٦٤/١٩٦٥) الى أهمية دراسة الجوانب المختلفة للمولد كمهرجان اجتماعى اقتصادى ثقافى ، وكان ذلك فى حقيقة الأمر انطلاقا من اطلاعى على دراسة كريس الضخمة عن المعتقدات الشعبية فى العالم الاسلامى • حيث راعنى أنه قد أورد مئات الآلاف من التفاصـــيل والجزئيات عن عشرات ، بل مئـــات ، الموالد ، ولكنه أغفل الاشـــارة الى الجوانب المتعـــددة للمـــولد كظاهرة اجتماعية ثقافية متكاملة ، كان يمكن أن يوظف فيها نظرة وظيفية تأخذ فى اعتبارها الظاهرة فى كليتها وفى ارتباط جزئياتها المختلفة بالبناء الاجتماعى المحيط بها ، سواء على مستوى الحى ، أو القرية ، أو المجتمع الكبير •

والهدف من هذا التخطيط العام أن يكون بمثابة مرشد وموجه الى ملاحظة مختلف ظواهر الموالد فى المجتمع المصرى، دون أن أخصص الكلام مع ذلك على مولد بالذات • وان كانت كل الموالد التى شاركت فى حضورها

أو قرأت عنها أو أوردت لها وصفا سريعا فى التقـارير الميدانية التالية فى هذا الفصل ، كل ذلك كان بمثابة الأساس الذى بنيت عليه هذه الملاحظات.

والفكرة العامة لهذا الفصل أن المولد ظاهرة اجتماعية ثقافية شاملة تنطوى على جوانب اقتصادية ، ودينية ، وترويحية ، وثقافية ، وسياسية، بل وعلى بعض مظاهر السلوك المنحرف أيضا الذى لم يكن يخلو منه أى مولد ومازال . وان كان الواجب يقتضينا أن نسـجل بحق أن الجهـود الناجحة التى تبذلها الشرطة ، علاوة على ارتفاع مستوى الوعى قد عمل بشكل فعال على تقليم هذه الأنشطة المنحرفة والتخفيف منها .

أولا ـ الجوانب الاقتصادية للمولد :

المولد كما يتبادر الى الذهن ، وكمـا يقتضى ذلك المنطق الصريح ، نشاط دينى فى المقام الأول ، ولكننا نجد مع ذلك أن الجوانب الاقتصادية للمولد تطغى على كل الجوانب الأخرى للمولد وتفوقها أهمية . حيث نجد بادىء ذى بدء أن تحديد موعد أى ولى محلى فى القرية انما يتم أساسا فى ضوء ظروف الدورة الزراعية وظروف العمل الزراعى . فلا يمكن أن يتم المولد فى وقت بذر البذور ، أو الرى ، أو جنى المحصول . ولابد أن يعقب فترة جمع محصول هام ، لأنه بدون أن تتحصل الأسرة على دخل واضح ـ مهما بدا لنا قليلا ـ لن تتمكن من الاعداد لرحلة المولد ، أو عمل القرص والكعك ، أو الاقبال على الألعاب المسلية وسماع الأغانى وغـير ذلك . فالمشاركة فى المولد تحتاج الى تمويل من الزائر لا يستطيعه الا اذا كان فى موسم رواج .

ولكن الأساس فى المولد نفسه أنه مناسبة لرواج عدد كبير من السلع التى يقبل على استهلاكها رواد المولد . كما تنتشر فى كل مولد طائفة كبيرة من الخدمات والمرافق التى تمثل فى جوهرها نشاطا اقتصاديا مزدهرا . وتقديم النذور فى المولد يمثل هـو الآخر عاملا من عوامل هـذا الرواج الاقتصادى لانه عبارة عن تدفق كميات ضخمة من السـلع (الغـذائية

أساسا) والنقود ، والأشياء التى توزع على أطراف الاحتفال كالرواد ، وخدم الضريح ، والضريح نفسه ، وأهل الولى .. الخ .

والملاحظ بصفة عامة أنه تروج فى المولد تجارة المواد الغذائية بشكل عام ، حيث يتحتم اطعام الآلاف ، أو مئات الآلاف من المترددين على المولد على مدار عدة أيام فى الوجبات اليومية الثلاث .الأمر الذى يستلزم تكثيف خدمات المطاعم القريبة ، وانشاء عشرات المواقع الجديدة (أكشاك أو عربات لتدعيم خدمة تقديم الغذاء لهذه الأعداد الكبيرة من المترددين على المولد .

وهناك علاوة على رواج الاطعمة العادية رواج ظاهر فى أطعمة معينة يزداد الاقبال عليها ، ويعد المولد مناسبة للمترددين للاستمتاع بها . من هذا مثلا الحلوى كالحمص والحلاوة بأشكالها وأنواعها ، والترمس ، والفول السودانى ، والعجوة ، والفاكهة ، وجوز الهند . ومن ذلك الأصناف المطهوة كاللحوم بأنواعها ، والكبد ، والسجق ، والكشرى ، والطعمية ، والفول النابت ، والبيض الملون ، والكباب والكفته ، والأرز ، والمكرونة ، والطرشى . كما تروج فى الموالد المشروبات المختلفة ، المثلج منها كالليمونادة ، والعرقسوس ، والمياه الغازية ، والشربات والسوبيا ، والماء المثلج ، والتمرهندى . والساخن منها كالشاى ، والقهوة ، والقرفة .. الخ .

وبالاضافة الى المواد الغذائية تروج تجارة بعض السلع الأخرى كأدوات الزينة ، سواء منها ما يستهدف تزيين الأشخاص والحيوانات والسيارات .. الخ ، وكالسجاير بأنواعها ، والبخور ، والصور الدينية وصور الممثلين وغيرها .

والى جانب السلع الغذائية والاستهلاكية تنتشر فى الموالد الخدمات ذات الطابع التجارى أو المتصل بتيسير الأنشطة الاقتصادية . حيث

يتطلب هـذا المهرجان الضخم توفير أعـداد ضـخمة من السرادقات ، والكراسى ، والحصير ، والسـجاد .. الخ . وكل ذلك على امتداد أيام المواد كلها . أما الخدمات التى تقام بهذه المناسبة فمنها أكشاك الحلاقين للختان ، وأكشاك الحلاق العادى ، وباعة الكتب .. الخ . كما أننا يجب أن نلاحظ أن مبيت الأعداد الضخمة المشاركة فى المولد يتم فى البيـوت القريبة من الضريح (للقادمين من مدن وقرى بعيـدة) ، وفى سرادقات خاصة ، وفى أحواش المقابر المجاورة (خاصة فى مدينة القاهرة ، وبالذات فى الموالد القريبة من أحياء المقابر) . وواضح أن أجور مبيت هذه الأعداد الضخمة يمثل حركة نشاط اقتصادى قوية وفعالة .

أما النذور نفسـها ، فبغض النظر عن الجانب الاعتقـادى الذى تنطوى عليه وتعبر عنه ، فانها تتدفق بكميات ضخمة على الولى وزواره والقائمين على خدمته . والجانب الأكبر من تلك النذور يتمثل فى سـلع غذائية ومواد غذائيـة كاملة الصـنع جاهزة للأكل ، ومـواد جاهزة ، وخضروات وفاكهة ، كما يتمثل فى المساهمات النقدية سواء فى صـورة توزيع على الرواد الفقراء أو وضع فى صندوق النذور . والمستفيد الأكبر من تلك النذور هم رواد المـولد ، الذين يتلقون تلك المـواد الغـذائية والصدقات (سواء بسبب الحاجة أو كبركة من الولى) . يأتى بعـدهم القائمون على خدمة الضريح ، ثم صـندوق النذور ، الذى يفتح بمعرفة وزارة الأوقاف على فترات دورية بمحاضر رسمية ويوزع ثلث حصيلته على خدم الضريح . كما أنه يتضح من حديثنا السابق المفصل عن النذور، أن بعض تلك الأشـياء التى تجلب للضريح تخصص لتزيينه وتجـديده والعناية به .

على أن التأثير الاقتصادى للموالد لا يقتصر على السلع التى تتداول فى المولد ، وعلى هامشه ، ولكننا نجد فضـلا عن ذلك أن بعض التجـار يحرصون على ممارسة تجارتهم بالقرب من المسجد (بجواره أو أمامه) ويستمدون من ذلك عاملا من عوامل رواج هذه التجارة . اذ يدعى البعض

أن الولى يحب الأمانة ويؤذى التاجر الغشاش أو المخادع ، وأنهم يتبركون من مجاورة الولى لأنه هو الذى يحرسهم ويحمى تجارتهم ويضمن لها الرواج • وواضح ما لهذه الآراء من أثر فى ترويج تجارتهم بالفعل ، واستفادة هؤلاء التجار استفادة مباشرة من مجاورة هؤلاء الأولياء •

ثانيا ــ الجوانب الدينية للمولد :

لاشك أن الجوانب الدينية هى التى تعطى المولد مبرر وجوده الأساسى وتمثل الغطاء الشرعى لكل الأنشطة التى تمارس فيه • هذا مع تسليمنا الكامل بأنه ليس كل رواد المولد قد تجشموا الصعاب ليمارسوا بعض الطقوس أو العبادات الدينية ، وانما يتوقف مبرر حضورهم « الحقيقى » أو « الفعلى » على ممارسة بعض الأنشطة الاقتصادية والترويحية •• الخ • ولكنهم فى جميع الأحوال يغطون هذا النشاط بغطاء دينى • ولذلك نجد أن قطاعا محدودا من رواد المولد هم الذين يشاركون فعلا فى النشاط الدينى الخالص •

ويتمثل هذا النشاط الدينى فى اقامة حفلات الذكر (الحضرات) ، وحلقات الوعظ والارشاد الدينى ، والأدعية (فردية وجماعية) ، وتلاوة القرآن الكريم من بعض رواد المولد أو من قراء محترفين • ومن الأنشطة الدينية الخالصة أداء الصلوات ، سواء الاوقات العادية فى سائر الايام ، أو صلاة الجمعة ، أو أداة الصلاة حينما يحين وقتها أيام المولد •

ولا شك أن المولد يمثل أهم مناسبات تجديد العلاقة وتدعيمها بين الطرق الصوفية وأتباعها من خلال الولى الذى يحتفى بمولده • فبعض الأولياء يرتبط تكريمهم بطريقة صوفية معينة • وهناك أولياء آخرون تنتشر سمعتهم ويفوق الاهتمام بهم حدود طريقة معينة ، ولذلك تجد كل الطرق الصوفية ممثلة فى المولد بسرادقات خاصة • وبهذه المناسبة تجتهد الطريقة فى جمع أفرادها من القرى والمدن المختلفة ، وتنظم انتقالهم الى مقر المولد (طنطا ، أو القاهرة •• الخ) ، وتنظم مبيتهم وتغذيتهم أحيانا،

وتجمع الاشتراكات والاعانات والهبات اللازمة لتمويلها .. الخ . وتستغل فرصة المولد مناسبة لجذب أفراد جدد الى الطريقـــة ، والضريح مكان مفضل لأخذ العهد على المريد ، وتدريبـــه على العمل فى خـــدمة اخوانه وخدمة الطريقة . كما تســـتغل الموالد فرصـــة لابرام وتدعيم علاقات المصاهرة بين « الاخوان » فى الطريقة لكى يضمن المسئولون عنها اتصال دخول دماء جديدة من بين أبناء هؤلاء المتزوجين من أفراد الطريقة .

وقد اهتمت بعض دراسات الطرق الصوفية والأولياء بهذه النقطة . حيث أشار مايكل جلسنان Gelsinan الى العلاقات القرابية بين أعضاء الطريقة الحامدية الشـــاذلية ، حيث تضمن الطريقـــة وراثة أبنائها لتلك العلاقة تلقائيا . ويرجع ذلك الى أن علاقات القرابة الدموية تعمل على زيادة علاقة المواجهة والزمالة وتضمن توطيد الروابط بين الأعضاء فى اطار الطريقة . وقد يزداد هذا التضامن فى بعض الأحيان الى حد يؤدى الى انغلاق الجماعة على نفسها وانعزالها عن العالم الخارجى المحيط بهم(١) .

كما تناول الدكتور فاروق مصطفى فى دراسته للموالد العـــلاقات القرابية بين أفراد نفس الطريقة ، حيث أوضـــح وأكـــد أهميتها فى ربط أعضاء الطريقة وأشار الى أن القرابة الدموية تفوق فى قوتها القـــرابة الشعائرية بوجه عام ، حيث لا يستطيع الابن (المريد) التنكر لرغبة أبيه (الشيخ) . ووصف الباحث مدى اهتمـــام الطريقة فى بداية نشـــأتها بتشجيع الزواج الخارجى لزيادة عدد الأعضاء ، ثم اهتمامها فى مرحلة تالية بالزواج الداخلى الذى يلعب دورا هاما فى ضمان دخول أعضاء جدد من أبناء الطريقة (الأولاد) أنفسهم الذين يشبون منذ الصغر وهم على وعى تام بمختلف الشعائر الدينية للطريقـــة ، الأمر الذى يدفع شـــيخ الطريقة الى الاهتمام بهم اهتماما كبيرا(٢) .

---

(1) M. Gelsinan; Saint and Sufi in Egypt; 1974; p. 66.

(٢) د . فاروق أحمد مصطفى ، البنـــاء الاجتماعى للطريقـــة الحامدية الشاذلية ، رسالة ماجستير ، القاهرة ، ص ١٧٦ وص ١٩٩ .

ولكن يبقى الامر الهام على أى حال وهو أن الالتقاء فى المناسبات والأعياد الدينية المختلفة — وخاصة الموالد — يمثل أبرز الأساليب التى تعمل على دعم الروابط بين أعضاء الطرق الصوفية • وقد أشار وليم لين فى كتابه «المصريون المحدثون» الى دور الالدراويش وأعضاء الطرق الصوفية فى اقامة الموالد ، وحرصهم على الانتقال الى المولد من شتى أنحاء مصر لاقامة الشعائر الخاصة بهم(٣) • كما وصف مايكل جيلسنان التقاء أعضاء الطريقة من كافة محافظات الجمهورية ، وسفرهم الجماعى للاحتفال بالمولد ، حيث يتزاورون فى السرادقات التى يقيمون فيها، مما يؤثر بالتالى على توطيد العلاقات فيما بينهم • ولذلك أكد الباحث على أهمية الموالد فى تغذية الشعور بالرابطة فيما بين شيخ الطريقة وأعضائها مما يساعد على استمرار حيوية الطريقة وتجديد قوتها •

ومن ثم تكمن الوظيفة الأساسية للموالد — من هذه الناحية — فى نقل الاعتقاد الى الأفراد الذين لم يروا الولى أو الشيخ المؤسس للطريقة، بمعنى ربط الجيل الثانى للشيخ سلامة (فى حالة دراسة جيلسنان)بالجيل الأول من خلال تلك اللقاءات التى يتم خلالها توزيع صور الولى المؤسس، والقاء تعاليمه وترديدها والاقتراب من الشيخ الحالى والارتباط به •

كما يتيح المولد والتجمع الذى يحدث فيه فرصة التقاء أعضاء الطريقة أثناء أداء الذكر وبعده للتحدث فى أمور الطريقة والتفكير فى المشكلات التى تواجهها ووضع الحلول لها(٤) •

كذلك اهتم فاروق مصطفى فى دراسته المشار اليها بالتقاء أعضاء الطريقة الحامدية الشاذلية من كافة أنحاء الجمهورية للاحتفال بالأعياد الدينية وأبرزها المولد النبوى ، ومولد الشيخ سلامة وغير ذلك • وأوضح دور الذكر ووظيفته من خلال علاقات المواجهة وما تحققه من توثيق

---

(٣) وليم لين ، المصريون المحدثون ، مرجع سابق ، ص ١٦٠ .
(٤) مايكل جيلسنان ، المرجع السابق ، ص ٦٠ ، ص ١٧٥ .

الرابطة ، واهتم بالرمزية الخاصة بالذكر، حيث يعنى تشابك الأيدى معنى المساواة وإذابة الفوارق ، وتشير المصافحة الى المساواة والود وهكذا(٥) .

ثالثا ـ الجوانب الترويحية والفنية للمولد :

تمثل الجوانب الترويحية والفنية الضلع الثالث لاحتفال المولد ، وبذلك تكتمل العناصر الرئيسية التى يمكن أن ينهض عليها أى مولد ، وبدونها لا يسمى هذا الاحتفال مولدا . فلا مولد بدون رواج اقتصادى ، ولا مولد بدون نشاط دينى ، ولا مولد بدون ترويح ونشاط فنى . قد تختلف الموالد فى أى عناصر أخرى ، ولكنها لا تختلف فى ضرورة اجتماع هذه المكونات الأساسية .

وهذا النوع من الأنشطة الترويحية يرتبط ارتباطا عضويا بسائر الأنشطة الأخرى ، فكثير من ألوان النشاط الترويحى والفنى تساهم فى جذب الرواد وتحقيق الرواج الاقتصادى ، وهى نفسها فى كيفية ممارستها نشاط اقتصادى واسع . كما أنه لا يخفى أن النشاط الترويحى والفنى يتصل بالنشاط المنحرف ويتيح فرص ممارسته .. الخ . كل ذلك هدفه أن أؤكد أن الجوانب الترويحية للمولد نشاط متداخل مع سائر أنشطة المولد ومتفاعل معها .

والأنشطة الترويحية تحوى قائمة من البنود المتباينة أولها وأبرزها لعين الملاحظ نشاط ألعاب الملاهى والألعاب المسلية للأطفال والشباب على السواء ، والنشاط الفنى الخالص كرواية الحكايات الشعبية ، والغناء ، والانشاد ، وعزف الموسيقى ، والرقص (بأنواعه ، وبتحفظات مختلفة من حالة لأخرى) . غير أن هناك ألوانا أخرى من النشاط لا تبدو ترويحية للوهلة الأولى ، ولكنها تتم فى الأساس بدافع من الترويح والترفيه .

---

(٥) فاروق مصطفى ، المرجع السابق ، ص ١٧٠ . والملاحظ بصفة عامة انه اعتمد اعتمادا كبيرا فى اعداد رسالته على مؤلف جيلسنان الذى سبقت الاشارة اليه .

فزيارة الضريح على سبيل المثال نشاط دينى فى مظهره الخارجى ، وقد تناولناه كذلك ، ولكنه لدى قطاع كبير من المترددين على الموالد — وخاصة النساء — نشاط ترويحى خالص • فالمرأة تتخذ الزيارة مبررا للخروج من البيت ، وهى فى طريقها تقضى الطريق فى شبه نزهة ، وتتجول فى المناطق الخضراء المحيطة بالضريح ، وتجلس مع صديقاتها وجاراتها تستروح نسمات الهواء وتتجاذب أطراف الحديث وتستمتع بشمس الشتاء أو بهواء الصيف • كما أن المحلات والسرادقات التجارية المحيطة بالضريح والمليئة بألوان السلع والأطعمة تمثل هى الأخرى موضوعا للتجول « والفرجة » والترويح •

والسمة البارزة للنشاط الترويحى والفنى هى جو البهجة الذى يشيعه ، من تزيين للضريح ، والمحلات ، والبيوت ، والسرادقات التى تقام ، وأكشاك وسرادقات الألعاب ، والعاب الاطفال ، وطوابير الشباب المتجولين يقرعون الطبول ويغنون • ولذلك يمكن القول بأن المشاركين فى الأنشطة الترويحية يفوقون عددا المشاركين فى أى نشاط آخر فى المولد ، ولهذا فان هذا اللون من النشاط هو الذى يضفى طابعه على المولد •

وتنطوى المشاركة فى المولد بالنسبة لقطاع كبير من رواده على السفر من قراهم ومدنهم الى مقر المولد، وقد تطول مسافةالسفر بالنسبة للبعض ، وكانت فى الماضى تستغرق أياما على ظهور الجمال والحمير وغيرها ، وهى كانت ومازالت نشاطا ترويحيا فى أساسه •

كما أن كثيرا من الموالد تنطوى على تنظيم موكب فى يوم الليلة الكبيرة قد يكون فى الظهيرة أو بعد العصر (حسب الظروف فى كل حالة) ، وهو بما يجرى فيه من استعراضات وزينات ومباريات وأبهة أحيانا موضوع للترفيه « والفرجة » يحرص كل المشاركين على متابعته والاستمتاع به • بل ان بعض المواكب تنطوى على مشاهد تمثيلية هزلية تجعل جرعة هذا الاستمتاع مضاعفة بالنسبة لجماهير الاطفال والشباب والنساء على وجه الخصوص •

وفى أحوال غير قليلة ينزل الرواد القادمون من أماكن بعيدة على أقارب أو أصدقاء لهم أو « اخوان فى الطريق » (أى زملاء فى نفس الطريقة الصوفية) ، ويقضون أيام المولد مقيمين فى بيوتهم يشاركون فى تمويل زيارتهم بما يحملون معهم من هدايا ومأكولات • وتلك كلها فى الحقيقة نشاط ترويحى فى نهاية الأمر •

ولا أجد أطرف من وصف عبد الحكيم قاسم(٦) فى روايته أيام الانسان السبعة لفرحة الاحتفال بالمولد فى المراحل المختلفة ، سواء فى القرية أثناء اعداد الفطير و « القرص » والمواد الغذائية المختلفة التى سيأخذها المسافرون معهم الى المولد ، أو أثناء موكب الخروج من القرية وتوديع أهل القرية له ، أو أثناء عودة ذلك الموكب بعد المولد ••• الخ •

رابعا ــ جوانب أخرى للمولد :

هناك عدا الأنشطة الرئيسية الثلاثة السابقة التى يقوم عليها أى مولد عدد آخر من الأنشطة التى قد تكون هامشية بالنسبة اليها ، ولكنها مع ذلك عامة وملحوظة فى كل مولد • ونضرب المثل على ذلك بالأنشطة العلاجية والانشطة المنحرفة ، ومظاهر التفاعل بين هذا النوع من المعتقدات والممارسات وبين الحياة الأسرية للمشاركين فيها •

ويعد النشاط العلاجى أبرز هذه الانشطة جميعا ، اذ أن الدور العلاجى لأى ولى فى الشفاء من مرض ، أو التماس الوقاية ، أو ممارسة عملية ختان •• أو غير ذلك أمر لصيق بمفهوم الولى عند الناس • وتتم ممارسة هذا النوع من النشاط بصورة مختلفة ، فالولى هو نفسه مصدر الشفاء أو العامل الأساسى فيه ، وقد يكون الولى من هذه الوجهة عاما فى الدور الذى يمارسه ، أى أن الناس تلتمس بركته أو تؤدى زيارته التماسا لعلاج كل الأمراض • ولكن هناك الى جانب هذا نوعا من التخصص بين

---

(٦) انظر عبد الحكيم قاسم ، أيام الانسان السبعة ، القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، د . ت .

الأولياء والتميز فى علاج مرض أو مجموعة أمراض بعينها : فهذا ولى فعال فى علاج العقم وأمراض النساء ، وذاك آخر فعال فى علاج العيون وأمراضها ، وثالث بارع فى شفاء الأمراض النفسية « والحالات » ، وآخر فى علاج الأطفال ، وغيره فى علاج البهائم .. الخ . وفى مثل الأحوال السابقة ، سواء كان الولى متخصصا أم غير متخصص ، تكون الزيارة ولقاء الخادم وغير ذلك وسيلة العلاج الرئيسية .

ولكن هناك أحوالا أخرى تستخدم فيها بعض الاشياء الخاصة بالولى أو الضريح فى علاج الأمراض المختلفة ، كتراب الضريح ، أو مياه العين الموجودة بالقرب من الضريح ، أو ثمار بعض الأشجار التى تنمو داخله ، أو الأحجار الموجودة على أرضه .. الخ . وهذه تكون بابا كبيرا مستقلا فى موضوع العلاج الدائر حول أضرحة الأولياء ، والذى تتردد حوله القصص « والكرامات » الكثيرة .

غير أن الموالد فى ذاتها مناسبة لاقامة سرادقات عديدة للحلاقين (حلاقى الصحة) الذين يمارسون دورهم التقليدى فى العلاج ، أى تقديم خدمة طبية (شعبية) عامة لكل الأمراض والحالات ، وفقا لأسس وقواعد ممارسة مهنة الطب الشعبى التقليدى . كما يمارس هؤلاء الحلاقون عملية الختان داخل سرادقاتهم (أو الأكشاك) التى يقيمونها .

أما عن الأنشطة ذات الطابع اللاجتماعى أو المنحرف فقد كانت هى الأخرى لصيقة فى الماضى بالموالد وتمثل مكونا أساسيا من مكوناتها . ففى الماضى كان فى كل مولد ركن أساسى لممارسة البغاء . (وذلك أيام كان هذا النشاط المنحرف مباحا ومقننا) ، وكان ذلك النشاط من عوامل الجذب القوية الى حضور الموالد ، كما أن البغايا كن يحرصن من تلقاء أنفسهن على التواجد فى كل تجمع بشرى كبير ، لأنه كان يمثل رواجا للمهنة التى يمارسنها .

ومع ذلك فاننا يجب أن ندرك أن الغاء البغاء رسميا ، لم يؤد بطبيعة

الحال الى الغاء هذا النشاط المنحرف كلية ، ولكنه ظل موجودا بطريقة مستترة ، علاوة على طائفة واسعة من الانحرافات الجنسية ذات الطابع غير التجارى ، أى تلك التى لا تمارس مع بغايا محترفات ، ولا تتم بسبب الأجر الذى يدفع للمرأة .. الخ . ولا شك أن تلك الانحرافات الجنسية غير الاحترافية لم تؤد الى الغاء الاحتراف فى هذا النشاط كلية ، ولكنه قلل نطاقا وتضاءل حجما بشكل ملحوظ .

كما أن الموالد كانت ومازالت مناسبة بارزة لرواج المخدرات بأنواعها ، خاصة الحشيش . حيث تنتشر فى كل مولد غرز تدخينه ، كما تنشط حركة الاتجار فيه ، بحيث يدخن العميل بوسائله الخاصة بعيدا عن الأماكن العامة .

أما السرقة والنشل والتسول فكانت ومازالت هى الأخرى من الظواهر المنحرفة الواسعة الانتشار فى الموالد ، حيث تستقطب أى تجمعات بشرية كبرى أعدادا كبيرة من النشالين وغيرهم الذين تتاح لهم فرص العمل على نطاق واسع فى الأماكن المزدحمة ، مع ما يصاحب الازدحام من ظلام وحركة وغير ذلك .

وتستقطب الموالد آلافا مؤلفة من أبناء الطبقات الشعبية البسطاء الذين يمكن أن يقعوا فريسة سهلة للنصابين من خلال ألعاب القمار بأنواعها ، حيث يقف الرجل المحتال بالتنسيق مع زملائه بتمثيل لعبة الربح ، فيسيل معها لعاب الرجل البسيط ويدخل الى اللعب لينفق آخر قرش فى جيبه . وهكذا .

ولهذه الأسباب تمثل الموالد تحديا لرجال الشرطة وميدانا لمقاومة الجريمة ومطاردة المجرمين ، وقد شهدت العقود القليلة الماضية « نظافة » الموالد الى درجة كبيرة بالقياس الى ما كان موجودا من ظواهر منحرفة تمارس تحت سمع وبصر المشاركين فى المولد . ولعل من يطالع أوصاف الموالد عند وليام لين ، أو ماكفرسون ، أو أحمد أمين أو غيرهم (انظر

قائمة المراجع فى نهاية الكتاب) يدرك مدى النجاح الذى استطاعت الشرطة أن تحققه فى أيامنا فى « تنظيف » الموالد من الأنشطة المنحرفة • وسيظل هذا الميدان مجالا يتحدى جهودهم بسبب وجود مناخ ملائم ومشجع على ممارسة الانحراف ، يتطلب متابعة الجهود واليقظة الدائمة من جانب ولاة الأمور •

أما النوع الأخير من الأنشطة الذى يمكن أن نناقشه هنا ، فهو تلك التى تتصل بنسيج الحياة الاجتماعية بصفة عامة والعلاقات الأسرية بوجه خاص • فالولى محور لعديد من الممارسات التى يهدف بها الشخص الى تدعيم علاقة حب وليدة ، أو ايقاع شخص فى غرامه ، أو توفيق فتاة تأخر بها سن الزواج فى العثور على شريك الحياة ، أو الشكوى من ظالم سواء كان مسئولا محليا أو جارا أو قريبا •• الخ • ويتم تدخل الولى فى هذه العلاقات العاصفة بصور مختلفة ، منها أن يهمس الشخص الى الولى بمشكلته ، ويرجوه أن يجد له الحل ، ويفتح أمامه سبيل الخلاص • وقد يجد كتابة المشكلة أجدى من روايتها للولى ، فيدونها فى رسالة مشفوعة بطلباته ، ويلقى بالرسالة فى داخل مقصورة الضريح • وقد يلجأ أطراف المشكلة الى خادم الضريح يلتمسون لديه الرأى والنصيحة ، أو عمل « عمل » معين يحقق الغاية المطلوبة ، لقاء أجر نقدى ، أو نذر للولى أو غير ذلك •

ولا ننسى علاوة على كل هذه السبل أن الموالد تمثل لأتباع الطرق الصوفية فرحة اللقاء مع شيوخهم وخلفائهم بمستوياتهم المختلفة ، فيطرح أصحاب المشكلات من « الأولاد » همومهم على شيوخهم يلتمسون الحل • ويندرج تحت ذلك البند كافة أنواع المشكلات ، سواء كانت خلافا بين رجل وامرأته ، أو رجل وصديقه أو امرأة وجارتها ، أو بين الأقارب وبعضهم ، أو بين « اخوان الطريق » وبعضهم •• وهكذا • وبذلك تدخل فرص هذه اللقاءات ضمن وسائل الضبط الأسرى والاجتماعى الذى يتحكم فى توجيه حياة هؤلاء الأفراد •